

تشظي الحركة النقدية العربية الحديثة بين الموروث العربي والتأليث الغربي.

الدكتور صالح قسيس

جامعة - باتنة 1

تشظي الحركة النقدية العربية الحديثة بين الموروث العربي والتأليث الغربي.

ملخص: يحاول هذا البحث أن يرصد تشظي الحركة النقدية العربية في كينونتها وتحولاتها عبر مراحل زمنية مختلفة فنشأتها وصيرورتها لم تنجز في عزلة ولا تعارض أو تضاد مع فضاء الحركة النقدية والأدبية في الغرب، فتحدث خصوصيته قياسا بهويته العربية، وكذا بتأثره بالاتجاهات النقدية الغربية، ومن نقاط الارتكاز الأساسية في مسارات النقد بروز اتجاه واضح نحو ترسيخ خصوصية النقد الأدبي، من حيث كونه خطابا معرفيا له تميزه وفرادته، وشروط فعاليته، خطابا تحرر تدريجيا من الفهم الأداتي، الذي ينظر إليه أو يحصر مجاله في كونه وسيطا بين الإبداع وبين القارئ والمتلقي، وضمنه الكاتب موضوع فعاليته، خطاب يمتلك كفاءة عالية مكنه من أن يصبح كيانا من الفكر والمعرفة، له وجوده القائم الذي يحاور النصوص ويستلذ بها.

تمهيد:

يعد النقد من أهم الحوافز الدافعة إلى ازدهار الإبداع الفني، وتطوير أشكاله الفنية ومقاصده الفكرية والثقافية، ونوع مناهجه التحليلية، وما فتى كل إبداع سردي أو شعري يقابل بإبداع نقدي في مواكبة دائبة عبر توالي العصور، وتعاقب الأجيال وما ازدهر الأدب في عصر من العصور إلا وكان النقد رافدا له تفسيرا أو تقييما أو إبداعا، وكلما قلت القراءة المبدعة خبت جذوة الإبداع وقاربت الأفول، فوقف الكتاب عند عتبة السائد واكتف النقاد والدارسون بما تحقق لديهم من مناهج وأدوات ورؤى فجاءت قراءاتهم تقليدية مكررة، وهذه المناهج القديمة مدعاة إلى السؤم، بعد أن استهلكت طاقتها وفقدت بريقها وعجزت عن تقديم فهم جديد للإبداع، ولكن عجلة التاريخ لم تتوقف فقد عجز القرن العشرون وخاصة نصفه الثاني بعدد من النظريات والمناهج والأفكار فشككت ثورة في الفكر لم يسبق لها مثيل. لقد أصبحت كل مناحي الفكر يعاد النظر فيها بقراءات نقدية وتطويرية، حملت لواءها أوروبا بالدرجة الأولى ثم سرعان ما انتشرت (عدواها) إلى مختلف دول العالم بنا فيها الوطن العربي، ومن بين ما عن بعد هذه الثورة الفكرية المناهج النقدية المعاصرة والتي شكلت بدورها صراعا ممتدا بين اتجاهين اثنين حيث يرى الاتجاه الأول: أن النص الأدبي علة لمعلول سابق ينبغي الكشف عن دلالاته بربطه بسياقه الخارجي ويدخل في هذا المجال: المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي وغيرهم.

بينما يحاول الاتجاه الثاني أن يدرس النص الأدبي انطلاقا من العلاقات التي تحكمه كالشكلانية والبنائية والتفكيكية والسيميائية وهناك من يطمح إلى الجمع بين الاتجاهين (داخل وخارج النص) البنائية التكوينية فما هي يا ترى حجج وأدلة كل فريق؟

وقبل هذا وذاك ما هي عوامل تطور النقد العربي الحديث؟ وهل استفاد من الدراسات النقدية العربية القديمة و تيارات النقد العربي؟

أ- تعريف النقد الأدبي:

النقد فن التمييز بين الأساليب، وتبيان مميزات العمل الأدبي وعيوبه، أو هو الحكم لصالح العمل أو ضده.

وكلمة (نقد) في اللغة العربية، تعني تمييز الدراهم ، وإخراج الزائف منها، ثم تطورت اللفظة بعد ذلك إلى الكشف عن محاسن العمل الأدبي ومساوئه، وقد نشأ النقد مع نشوء الأدب أو بعده بقليل، فإذا اعتبرناه يسير مع الأدب، فنعني أن الأديب حين ينتهي من كتابته للنص ، يعيد قراءته ، كاشفا أخطاءه ، مقوما عيوبه فيحذف كلمة واضعا مكانها كلمة أخرى يجدها أكثر جمالا ، أو يشطب على جملة مغيرا إياها ، إلى جملة اشد إبهارا وبهاء ، وأكثر وقعا في نفس المتلقي من تأثير الجملة الأولى ، وحين نقول إن النقد الأدبي يأتي بعد النص ، نعني بكلامنا أن الكاتب حين ينتهي من كتابته نصه ، يطبعه لينشره بين الناس ليمكنهم من الإطلاع عليه ، ويأتي الناقد ويقرأ الكتاب المنشور ، فيحلله مبينا مميزاته وعيوبه ، وحين يطلع القارئ على النصوص الأدبية ، وتثير به الإعجاب أو قد لا تتمكن من إثارة ذلك الإعجاب ، فالإعجاب أو عدمه لانطلق عليه لفظة النقد ، بل لابد من المضي إلى أكثر من إظهار الإعجاب ، بخطوات أخرى ، يبين بها القارئ أسباب إعجابه بنص معين .

وتبيان مناطق القوة والضعف ، يبدأ (النقد) بانطباع يتركه النص في نفس القارئ المتلقي ، وينتهي بحكم ، وهذا الحكم لابد أن يبنى على أسس متعارف عليها ، من الذوق المرفه المصقول ، والثقافة المتنوعة ، ودراية واسعة بأمور السياسة وعلم الاجتماع ومعرفة بالتاريخ والجغرافية والأديان.

ب- مراحل تطور النقد الأدبي:

وقد تطور (النقد) في العصر الحديث ، وتعددت مناهجه ، ولكن يبقى المعنى العام له واحدا ، منذ أرسطو وحتى اليوم ، وهو لا يعدو أن يكون أسئلة عقلية يطرحها الشخص الذي يتصدى للعملية النقدية ، عن مضمون النص ، والطريقة التي سلكها الأديب ، ، للتعبير عن أفكاره ، وعواطفه ، وليس الأدب مضمونا فقط ، إنما هو شكل جميل أيضا ، كما أن المضمون ليس فكرا خالصا ، بل تصحبه العواطف والمشاعر ، فمهمة الناقد هي الكشف عن مضامين النص الأدبي الفكرية والعاطفية ، والكيفية التي لجأ إليها الكاتب للتعبير عن تلك المضامين ، ، تأتي بعد ذلك عملية التقويم ، بمعنى الحكم لصالح العمل الأدبي أو ضده ، وهذا الرأي الذي تراه جمهرة النقاد ، تختلف فيه معهم مجموعة من النقاد ترى أن مهمة النقد تقتصر على الكشف عن مضامين النص الأدبي ، وأسلوبه ، إما مسألة الحكم فتترك للقارئ .

العملية النقدية تمر بثلاث مراحل ، تسمى المرحلة الأولى منها مرحلة (التفسير) وتعني تبيان المعنى العام الذي أراد الأديب أن يعبر عنه ، ، المرحلة الثانية تسمى مرحلة (التحليل) هو شرح الطريقة التي سلكها الأديب للتعبير عن أفكاره وعواطفه ، أي الشكل الذي ارتضاه الأديب وعاء ليحمل مضامينه من أفكار وعواطف ورؤى ، ويريد بها أن تصل إلى القارئ بشكل جميل ... المرحلة الثالثة هي (التقويم) وتعني إظهار مدى نجاح الأديب أو فشله في التعبير عن المضمون بالشكل المناسب .

الناقد لا يستطيع الحكم على النص الأدبي بيسر وسهولة؛ إذ لابد أن تدعمه الثقافة الواسعة بعلم الكلمة ومدلولاتها وجمالها والاستعمال الحقيقي لها والمجازي ، والنقاد يختلفون بالطريقة التي ينظرون بها للنص الأدبي ، فيهتم الواحد منهم بجانب معين ومحدد، البعض يهتم بالمضمون، وآخر يعنى بالشكل ، بعضهم يرى أن العمل الأدبي صورة لمنشئه ونسبته المنهج النفسي في النقد ، وفئة ثانية من النقاد تعتقد أن العمل الأدبي صورة للواقع الاجتماعي وهو ما نطلق عليه المنهج الاجتماعي، ومجموعة ثالثة من النقاد ، ترى أن النص الأدبي موجود بصورة مستقلة عن الأديب الذي أنشأه ، وعن المجتمع الذي عاش بين أبنائه ، ويسمى هذا المنهج الفني .

إن العمل الأدبي نوع من الفنون الجميلة ، التي تعتمد على اللغة وتراكيبها ، للتعبير عن المضامين ، والإشكال بأسلوب فني جميل ، قادر على التأثير في المتلقي والسمو بعواطفه ومشاعره.

تطور النقد وظهور مختلف المدارس النقدية:

تعرضت مفاهيم النقد الأدبي إلى تغيرات خلال القرن العشرين فيما يخص وظائف النقد وأساليبه وأهدافه . فبعد أن كان النقد في المفهوم الكلاسيكي ينظر إلى الأثر الأدبي بحد ذاته ، أي باعتباره موضوعا مكتفيا بذاته ، ومتخذاً مكانه الخاص ، برز المفهوم الحديث للنقد وفيه لم يعد الأثر الأدبي موضوعاً طبعياً يتميز عن الموضوعات الأخرى بالسمات الجمالية فحسب ، بل صار يعتبر نشاطاً فكرياً عبّر بواسطته شخص معين عن نفسه . أي باختصار فإن هدف النقد تحول عن الموضوع نفسه ، إلى كل ما يحيط بالموضوع ، مع التركيز على تفاصيل مثل ظروف العمل الأدبي ، السيرة الذاتية للمؤلف والحس الشعري poetics المتضمن في ذلك العمل الأدبي .

فقد ظهرت مدارس عديدة لدراسة النتاج الأدبي أو الفني تعتمد على الأسس الفلسفية الحديثة ، غير تلك الأسس الفلسفية القديمة (ديكارت وكانت وهيغل وهايدغر) بل مدارس حديثة هي أساس مناهج النقد الحديث وهي :

1- مدرسة النقد الشكلي والبنوي .

2- مدرسة التحليل والنقد النفسي.

3- مدرسة النقد الاجتماعي والماركسي .

النقد العربي الحديث و تطوره :

جذت على الأدب الحديث بعد الحرب العالمية الأولى عوامل أدت إلى ذبوع آراء كثيرة حول التجديد في الأدب و الشعر، مما أدى إلى ثورة لفييف من الأدباء و النقاد المعاصرين على الأدب المحافظ أو الإتياعي (الكلاسيكي) ودعائه و من هذه العوامل مايلى :

-انتشار الثقافة الأدبية لكثرة المدارس والمعاهد والجامعات ، و بفضل الأزهر و عن طريق المجمع و النوادي الأدبية و بفضل المطابع التي تخرج كل يوم العديد من الكتب القديمة و الحديثة .

-ذبوع الأدب الغربي الحديث في محيطنا الأدبي و تأثر طبقة من أدبائنا و نقادنا به .

1- تجديد ظاهر الحضارة ومشاهد الحياة يوما بعد يوم ، مما ترك أثره العقول والنفوس والمشااعر .

2- انتشار روح الثورة على التراث الأدبي القديم بين طبقات الأدباء التي تخرجت من الجامعات المصرية والمعاهد الغربية¹ .

النقد العربي القديم وآثاره في نقدنا الحديث :

إن النقد العربي الحديث اتجه عدة اتجاهات، منها ما يعلى من شأن النقد العربي القديم ولا يرى حكماً لغيره ، و هذا الاتجاه فيه تجاوز فترة الزمان و المكان بين القديم والحديث، واتجاه آخر لا يرى الخير إلا في النقد المترجم أو الوافد في إثراء النقد العربي الحديث وفي هذه النظرة ظلم لنقد أمة عرفت بين الأمم ببيانها وأدبها ونقدها وهو نقد ضارب في القدم² . وعلى أية حال فإن النقد العربي الحديث فيه من القديم وفيه من المترجم الحديث وهذا لا يضر ذاك و ذاك لا ينكر هذا ، بشرط أن يأخذ من القديم أجوده وما يتناسب مع المستوى الثقافي للمتلقي و ينتفع من الحديث بما يوضح ملامح النقد العربي، ويساعد على تقريبه وتبيان جمالياته، لا أن يقحم عليه حتى يطمس معالمه و ينسخ صورته ، لأن الأمة من غير هوية لنقدها تعتبر غير موجودة، أو في عداد الأمم المتخلفة و لولفترة.

ولا يستطيع أي دارس للنقد العربي أن يختلف معنا في أثر النقد العربي القديم فيه ، إلا من باب الموضوعية أو وضع الأمور في غير نصابها ولن يكون الجديد ثمراً إن لم يقم على قديم أصيل³ .

¹ عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد العربي الحديث ، الدار المصرية اللبنانية ، د ، ط ، د ت ، ص 87 .

² محمد بركات حمدي أبو علي : بحوث و مقالات في البيان و النقد الأدبي ، دار البشر للنشر و التوزيع ، ص : 66 .

³ المرجع نفسه ، ص 68 .

فالنقد الأدبي الحديث لم يأت من فراغ بل (هو ممتد الجذور) ، وإذا رجعنا إلى موروثنا النقدي نجد شخصية نقدية قد تركت بصماتها، بحيث أسست وأصلت للنقد الأدبي القديم ألا وهي عبد القاهر الجرجاني (741هـ-400) مؤلف كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وكذا قدامة بن جعفر (337هـ) وآمدي (371هـ) والقاضي الجرجاني (292هـ) وأبي هلال العسكري نحو (395هـ) الذين رغم عطائهم النقدي الغزير، فالفرق كبير بينهم وبين عبد القاهر فإذا كانت الأحكام التي فصلوها في الموازنة بين الطائيين والوساطة بين المتنبي وخصومه، وكتاب "الصناعتين" تعد الأساس لنشأة النقد العربي فإن دراسات عبد القاهر الجرجاني قد بنت للنقد صرحا شامخا لم يصل إليه أحد قبله ولا بعده⁴.

وفي هذا يقول عبد المنعم خفاجي: "وأكد أمثل ذوق عبد القاهر النقدي في الكتابين "بالترومتر الزئبقي الذي يتأثر بمختلف درجات الحرارة تأثرا واضحا فإن ذوق عبد القاهر يقف عند دقائق الأساليب ومختلف صور الأداء والبيان متأثرا مهتزا معبرا عن انفعالاته الأدبية والنقدية بأحلى بيان وأوضح تعبير وعندما يقف أمام روعة تعبير أو أدنى تغيير في الأسلوب يعبر عن انفعالاته الفنية يعبرا يدل على أصالة الفهم وعمق الإحساس.

أدب المنورين ودوره في دفع الحركة النقدية العربية:

لقد أدى أدب المنورين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر دورا إيجابيا كبيرا في تطور الفكر الاجتماعي العربي وفي الأعوام السابقة على الحرب العالمية الثانية، مارست البورجوازية التركية التي ثارت على حكم السلطان عبد الحميد سنة 1909 سياسة صريحة هادفة إلى خلق الحركة القومية العربية، وعرقلة تطور الأمة العربية في طريق الوحدة والتقدم وتترك العرب⁵، أما البرجوازية العربية فقد ناضلت من أجل الاستقلال وعبرت عن مطالبها من خلال برامج عديدة من الأحزاب العربية، ووقفت العناصر القيادية إلى جانب انفصال البلدان العربية انفصالا كاملا عن الإمبراطورية العثمانية، وعد الكفاح المسلح الوسيلة الوحيدة للاستقلال. دخلت تركيا سنة 1914 إلى جانب ألمانيا بينما مال العرب إلى جانب الحلفاء بقيادة الشريف حسين فحرروا جملة من الأقطار العربية، ولكن بحلول 1920 وقعت هذه الأقطار تحت السيطرة الأجنبية وكان الممثلون هذه المرة حلفاء الأمم (الإنجليز وفرنسا) وكان على العرب الرد على غدر العدو الجديد لمتابعة النضال بشتى أشكاله، وكان من الطبيعي انعكاس هذه الأحداث على الأدب والنقد الأدبي، فتزايد من نضجها والتصاقها بقضايا الشعب القومية والاجتماعية.

تحولات مهمة في الأدب والنقد:

-1

لقد أكدنا فيما سبق على أهم ما تميز به النقد والأدب، وهي خصائص جديدة تميزت بها نشأة النقد العربي حتى الربع الأول من القرن العشرين، وأكدنا أهم المنطقات التي أصبح الأدب يعالج في ضوءها الفنون الأدبية المستحدثة فازداد الأدب التصاقا بالحياة، فأصبح في نظر النقاد مصدرا من مصادر التاريخ الصادق يعكس صورة بيئته وعصره، ولذلك دعا النقاد في المرحلة الجديدة إلى استقصاء واستخدام معطيات العلوم الحديثة كعلم النفس و علم الإجماع، إلى جانب علم التاريخ من أجل إصدار أحكام موضوعية صادقة على العمل الأدبي⁶.

تيارات النقد الغربي وآثاره في النقد العربي الحديث:

أخذ النقد العربي الحديث أصوله من جميع المذاهب النقدية في القديم والحديث من الشرق والغرب على حد سواء، وما نشوء المذاهب النقدية الحديثة إلا أثر لهذا الأخذ ولذلك التأثر، والفلسفات الحديثة في الغرب ذات

⁴ محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، ص 66.

⁵ - ينظر/ حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص: 862/863.

⁶ - ينظر/ محمد زغلول سلام: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، د/ ط/ د ت/، ص: 49/48.

فعالية كبيرة في حركة النقد فالفلسفة الوجودية أنتجت أعمال الكاتب الفرنسي "سارتر" في النقد الأدبي والفلسفة الماركسية ومنها نبعت الواقعية التي صارت مذهباً من مذاهب النقد والأدب ويلي هذا مدرسة التحليل النفسي و شارل موزون في فرنسا هو خير ممثل لها وهو خير ممثل للنقد القائم على التحليل الفرويدي⁷.

وللناقد لانسون تأثيره في النقد في فرنسا وقد استمر كتابه خلال الخمسين السنة الماضية منهاجا وعقلية بتناقله تلامذته العد يدون ومسطرا على النقد الأكاديمي ، وقد ترجم محمد مندور إلى العربية كتابه " منهج البحث في الأدب"⁸ وقد ترجمت أعمال كثيرة من النقد الغربي وكان لها تأثيرها في أعمالنا النقدية المعاصرة ومن بينها : قواعد النقد الأدبي للاسل أبد كرومي ترجمة محمد عوض و منهج البحث في الأدب للابسون ترجمة محمد مندور وفنون الأدب لتشربتن ترجمة زكي نجيب ، و الذوق الأدبي للأرنولد بنيت ترجمة علي الجندي و النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لها يمن ترجمة إحسان عباس و مبادئ النقد الأدبي لريتشارد ترجمة محمد مصطفى بدوي و كتاب ما هو الأدب لسارتر⁹.

اتجاهات النقد:

سيطرت على النقد في هذه الفترة اتجاهات ومذاهب مختلفة ، وانقسم إلى تيارات تعبر في مجملها عن تطلعات الحركة الفكرية المتنامية وعن وعي المجتمع بقضايا المجتمع ومن أبرز هذه التيارات نذكر:

أ / **التيار القومي:** وهو التيار الذي يدعو للأدب القومي ويعتبره صورة صادقة عن الأمة ، مؤكداً أن لكل شعب أدبه الخاص الذي يصور ماضيه وحاضره ويتطلع إلى مستقبله ، وقد دعا أصحاب هذا التيار إلى الاهتمام بشعبية الأدب ، مستجيباً إلى إيديولوجيا إذكاء الشعور القومي في وجه السيطرة الأجنبية .

ب / **التيار العالمي:** يتخطى أنصاه حدود الأدب القومي الضيقة داعين إلى نظرة تشمل العالم ككل مؤكداً على أن الأدب واحد في العالم كله ، وأن نقل أي إنتاج أدبي من لغته لا يفقده الجودة ، ولا يضيء عليه الرداءة وهذا التيار بدوره يلتقي مع أحد جوانب المطالب الشعبية والبرجوازية ، لأن نمط الحياة الرأسمالية لم يعد يترك أبواب الحياة الاجتماعية في الوطن العربي أو يتسلل إلى داخلها خلصة بل راح بل راح يخترق الحدود التي وضعها أمامه نمط الحياة الإقطاعية ، وأصبح الشعاع السائد مجارة أوروبا في كل شيء بما في ذلك الأدب .

ج / **التيار الإجمالي:** هو تيار دعا إلى الفن المجرد ، المدافع عن حرية الفنان حرية مطلقة ، وعدم التزامه بأية رسالة أخلاقه أو قومية أو اجتماعية، ووظيفة الأدب من وجهة نظر أصحاب هذا التيار إظهار الجمال والجمال فقط ولا ينعزل هذا التيار عن قضايا العصر كالتأثيرات الإيديولوجية فهو يعكس في جوهره مبدأ الفردية¹⁰.

وقد استفاد النقد العربي من النقد الأوربي كثيرا كالخيال ، العاطفة ودراسة الشخصيات والبيئة والعصر ووحدة القصيدة ، وغيرها مما لم يرد في النقد القديم غير لمحات يسيره منثورة هنا وهناك لأعمال النقاد في القديم .

وهكذا نرى من كل ما تقدم أن الحركة الفكرية الاجتماعية ناضلت قرناً من الزمن تقريبا وأن التجديد الذي طرأ على الأدب العربي والنقد العربي لم يكن وليد إرادة أفراد درسوا في الغرب ، وتأثروا به وبأدبه فجاءوا إلى أوطانهم يعرضون على أديبها ثوبا قد لغيرها ، بل كانت نتيجة لتغيير نمط الحياة الاجتماعية فانزاحت الطبقة الإقطاعية التي كانت سائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر وحلت محلها طبقة جديدة فرضت نمط حياتها وفكرها على المجتمع في كثير من الأقطار العربية.

⁷ محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، ص 107.

⁸ المرجع نفسه ص 108.

⁹ المرجع نفسه، ص 111.

¹⁰ - ينظر/ إبراهيم الحايي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984، ص : 119.

إن التأثير بالغرب لم يكن سببا في التغيرات التي طرأت على أدبنا ونقدنا الحديثين ، بقدر ما كان نتيجة لتلك التطورات الاجتماعية التي استمرت هادئة حيناً وعاصفة أحيانا أخرى ، لكن لابد من الإشارة إلى أن تطور الأدب بطئ بطبيعته ، وهذا ما جعل العصور الأدبية متداخلة تداخلا لا يمكن معه وضع حد فاصل تماما بين عصر وعصر ، هذا ما يبدوا واضحا جليا في دراستنا للنقد الأدبي الحديث على الرغم من سيطرت الاتجاهات النقدية المستندة إلى البرجوازية الإيديولوجية بشكل عام ، فإن النقد عندنا في مرحلة نشوء النقد الأدبي الحديث يمثلون مذهبين ، متصارعين أشد الصراع ومتخاصمين أشد الخصومة وهما¹¹ :

- **المذهب القديم** : الذي يعتني بالنقد اللغوي على طريقة القدماء ، فيهتم بالصيغ والألفاظ والنواحي البلاغية ويتهم على المذهب الجديد في النقد.

- **المذهب الحديث** : الذي يعطي الاهتمام إلى التجربة الأدبية والصياغة الفنية .

وفي الواقع أن هذا التقييم شكلي ، إذ يصعب علينا أن نجد نقاد يمثلون تمام التمثيل أي من المذهبين ، فنحن نجد نقادا على صعيد الواقع أقرب إلى المذهب القديم ، وآخرين ألصق بالمذهب الحديث ، إذ يستحيل على الناقد أيا كان مذهبه أن يتجنب التأثير بريح العصر وتياراته وبطبيعة الحركة الاجتماعية المعقدة إلى أبعد الحدود ، وقد كانت سيطرة المذهب الجديد أمرا تمليه الضرورة التاريخية ، وقد بدأ انتشاره واضحا جليا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.

معالم الحركة النقدية الحديثة :

ما هو موقفنا من النقد الأدبي ؟ وكيف نحدد موقعه من تراثنا الفكري ؟

حينما نحاول النظر في الدراسات القائمة في النقد الأدبي الحديث سوف نلاحظ شبه إجماع على إدانته ، إذا أن بعضهم اتهمه بالتقصير والضياع ، وفقدان المنهجية وبعضهم اتهمه بالاتباعية إذ أنه ليس ثوبا بغير مقامه ، فغدى مضحكا مرفوضا ، ولكي نستطيع أن نفهم جيدا موقف هؤلاء نفهم مايلي :

أولا : إن قضية النقد هي قضية وعي بجانب مهم من تراثنا الفكري وإن احترامنا العميق لدارسي الأدب ممن يملأ إنتاجهم التراث العلمي لا يمنعنا من الاختلاف معهم أحيانا وهذا لا يعدو وسيلة للطعن في تلك الدراسات فقد نختلف حول مسألة ما وننتهي إلى القول أن التحليل العلمي قد يتعثر في بعض الأحيان ، ولن يفشل الدارس المدقق في العثور على بعض الأحكام المسرعة ، أو الصيغ غير المبرنة ، وكل هذا نصل من خلاله إلى الممارسة الأكثر دقة ، و صيغ أشد رحابة ومرونة مع احترامنا للمنهج في الحث والاعتماد على القواعد الدقيقة بالنظر إلى النقد الأدبي وعلى هذا الأساس ستحاول أن ستعرض بعض الاتهامات التي وجهت إلى النقد العربي الحديث .

يقول **السيد قطب** في كتابه : النقد الأدبي أصوله ومناهجه "أول نقص ملحوظ أنه ليست هناك أصول مفهومة بدرجة كافية للنقد الأدبي ، وليست هناك مناهج كذلك تتبعها الأصول ، ومعظم ما يكتب في النقد الأدبي عندنا اجتهاد ، وذلك طبيعي مادامت الأصول والمناهج لم تحدد بالدرجة الكافية"¹².

يبدو واضحا من خلال كلام السيد قطب أنه يرى بأن سبب اختلاف النقاد ، وتباين الآراء يكمن في انعدام المناهج والأصول ويعتقد أن وضع المناهج والأصول يسهل القضية ، ويقضي على تفاوت الأحكام والتقييمات التي يسلكها الناقد .

ويلتقي **حسين مروة مع السيد قطب** في كتابه : "دراسات في ضوء المنهج الواقعي" بقوله : "من الظواهر الملحوظة في حياتنا الأدبية غياب وجه النقد الأدبي عندنا حتى الوقت الحاضر لا أعني بذلك أن ليس للناقد وجود في حركة

¹¹ - ينظر/حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي، ص: 924.

¹² - سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشرق ، مصر - ط - دت - ص: 10.

النشاط الأدبي لدينا أو أن وجوده لا يستوي وجود سائر النشاط ، هذا بل أن الناقد الأصولي أو المنهجي في التعبير الحديث هو الذي نفقده .

ونحن إن كنا نوافق **حسين مروة** في تحديده لوظيفة النقد حتى يقول : "إن أول ما تعنيه وظيفة النقد تثقيف القارئ بإعانتته على تفهم الأعمال الأدبية وكشف المغلق من مضامينها وإدخاله إلى مواطن أسرارها الجمالية ، إرهاف حسه وذوقه الجمالي ، إغناء وجدانه ووعيه بالقدرة على استنباط التجارب والأفكار والدلالات الاجتماعية والمواقف الإنسانية التي يصفها الشاعر أو الكاتب خلال العمل الأدبي تجاه قضايا عصره ووطنه ومجتمعه ، إلا أننا لا نستطيع أن نوافق على رفضه الجدل القائم حول العلاقة بين النقد والحركة الأدبية نفسها".

هناك نماذج أخرى من التهم يعتمد أصحابها على وجهة نظر تاريخية فنرى "أحمد الشايب" يقول في المقدمة التي وضعها لكتاب طه حسين "تاريخ النقد الأدبي عند العرب : فأولئك الذين درسوا الآداب العربية واطلعوا على ما فيها من أصول النقد الأدبي عند الغرب وعلى هذه المناهج السياسية والاجتماعية التي أثرت على الكتاب حاولوا أن يفرضوا هذه المناهج والأصول على الأدب العربي فرضاً واجتهدوا مخلصين أن يجدوا في نصوصه مثل ما حفظوا من قواعد والقوانين فإن وجدوا حمدوا لأنفسهم هذا الاكتشاف الخطير وإن تنكر لهم هذا الأدب العربي وأبى العرفان لهذه المذاهب المنقولة فهو أدب متأخرو لا يمت إلى هذه الحضارة بأية صلة .

هناك فريق آخر لم يطلع على الدراسات الأجنبية فوقف عند ما كتبه الأقدمون من نقاد العرب كابن قتيبة و الجرجاني والآمدي ممن يغلب على مذاهبهم الأفكار الجزئية والمباحث الموجزة والنظرات السريعة إذ قلما تتجاوز في نقدهم الكلمة المفردة والمعنى المستقل يبتكره هذا فيأخذ ذلك ويجهده فيه إلخ . وهكذا بقي الأدب مسجوناً في اللفظ والمعنى دون عناية بوحدة القصيدة والالتفات إلى شخصية الشاعر أو بيئته أو عصره وينتهي إلى القول أن الفريق الأول حاول أن يلبس الأدب العربي لباساً قد على غير مقاسه فبدا مضحكاً مرفوضاً وعجز الفريق الثاني أن يخطط له ثوبه فبدا أدباً عارياً يطلب حقه من الثياب وأمام هذه الأصول يتطلع الناقد " الشايب " إلى تنظيم دراسة للنقد الأدبي وإقامته على أسس سليمة وسلوكه خططا واضحة ليستطيع النهوض بواجبه بين الدراسات الأدبية الأخرى ويشفى بعد ذلك من هذه الأزمات والآفات .

ولا يكاد رأي " بدوي طبانة " يختلف عن رأي " أحمد الشايب " حيث يقول في كتابه التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ففي "أعلام النقد العربي من كانت له ثقافة غربية خالصة فهو ينظر إلى الأدب العربي على هدى تلك الثقافة وهناك من الأعلام من تأثر بالنقاد العرب القدماء وكل أدب جرى على غير طريقهم هو أدب منقول "

وفي هذا إقرار واضح بتشظي النقد العربي، وهو حقيقة لا ريب فيها لا على الصعيد الفكري فحسب، بل تعداه إلى جميع الأصعدة الاجتماعية والحضارية ، وهذه بدورها مرتبطة بالصراع الحضاري بمعناه الشامل فلقد كان النقد الأدبي في البداية يعتمد المعايير الذوقية الخالصة ، وكانت هذه المعايير تختلف اختلافا حاسما من ناقد لآخر ولا سبيل لاستخلاص قيم محدودة دقيقة منها ، ثم اتصل النقد بعد ذلك بالدراسات النفسية واستخلصوا منها قيما كثيرة حرصوا على تطبيقها والاستفادة منها في فهم النصوص الأدبية وتذوقها في الحكم عليها ؛ ثم توصل النقد إلى ضرورة البحث في مضمون الأدب الاجتماعي، وفي إقامة علاقة بينه وبين الصياغة الجمالية ، وهذه مدارس ليست دخيلة على تراثنا بل هي وعي نظري متجدد لهذا التطور ففي أطوار النقد الحديث المختلفة أسهم مفكرون مختلفون في هذا الاتجاه من أمثال العقاد والمازني ميخائيل نعيمة ، طه حسين ، مندور... إلخ وهذا باحترام الموروث والوعي النظري بالتعبير الجديد في علاقته بحياتنا الاجتماعية الراهنة .

المراجع:

- ¹ - عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد العربي الحديث ، الدار المصرية اللبنانية ، د ، ط ، د ت.
- ² - محمد بركات حمدي أبو علي : بحوث و مقالات في البيان و النقد الأدبي ، دار البشر للنشر و التوزيع .
- ³ - المرجع نفسه .
- ⁴ - محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الأدبي الحديث.
- ⁵ - ينظر/ حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي.
- ⁶ - ينظر/ محمد زغلول سلام : النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده، منشأة المعارف بالأسكندرية، مصر، د ط/ د ت / .
- ⁷ - محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث.
- ⁸ - المرجع نفسه .
- ⁹ - المرجع نفسه.
- ¹⁰ - ينظر/ إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984.
- ¹¹ - ينظر/ حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي.
- ¹² - سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشرق ، مصر — د ط - د ت.